د. عبد العزيز كامل

رسالة الى طلائع الطائفة المنصورة

في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م

ح مجلة البيان، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مجلة البيان - المنتدى الإسلامي، (الرياض)

الطائفة المنصورة - الرياض

٦٨ ص؛ ١٤X ٢٠

ردمك: ٨ - ٣٢ - ٧١٨ - ٩٩٦٠

١ - الطائفة المنصورة

أ - العنوان

ديوي ٢٥٢,٥ ٢٣/٥٠١٤

رقم الإيداع: ٢٣/٥٠١٤

ردمك: ٨-٣٢-٧١٨-٩٩٦٠

بين يدي الرسالة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فحينما نكون أمام قضية بأهمية القضية الفلسطينية وخطورتها، وحينما نكون أمام حركة مجاهدة بحجم الحركة الإسلامية الفلسطينية، في بذلها وعطائها وجهادها الغالي؛ فلا مجال هنا للمزايدة أو ادعاء الحكمة والخبرة، كما أنه لا حاجة أيضاً لكلمات المجاملات المجردة، أو المعالجات الآنية العارضة، لا حاجة لهذا ولا ذاك، بل الحاجة هنا هي للتذاكر والتناصح بشأن القضية الأم والأهم بين القضايا الإسلامية.

ولهذا نبعث هذه الرسالة، من صدور ضاقت بما آلت إليه أحوال الأمة من ذل وهوان، وقلوب أدماها ما يقع بأهلها في الأرض المقدسة من نكال وأذىٰ، في وقت عزّ فيه الصديق، وقلَّ الرفيق، إن الجهاد في بيت المقدس وما حوله كان يحتاج إلىٰ نواة، فكنتم أنتم النواة، وكان يحتاج إلىٰ ترشيد، فكنتم الطليعة في سيره الرشيد، وهو الآن ـ ومع الأيام ـ سيحتاج إلىٰ أن تتسع رقعته، ويحشد أنصاره، من خلالكم ومن خلال كل مهتم بأمر المسلمين معكم، وعندها؛ سيتحتم أن تكون هناك خطوط عريضة، وثوابت راسخة، يجتمع حولها كل المجاهدين تحت راية العقيدة والدين، بحيث تنطلق من أصولها الشرعية كل الفصائل، حتىٰ يصبحوا

في مجموعهم الطلائع الحقيقية للطائفة المنصورة، التي أخبر النبي ﷺ أنها ستجتمع في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، يقاتلون على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

ورسالتنا هذه ليست موجهة فقط إلى فريق الكرامة والشرف من مجاهدي حماس والجهاد الإسلامي وغيرهم ممن بدأ يلتحق بهم في مسيرة الجهاد الشرعي، وإنما تتوجه - وربما بإلحاح أكثر - إلى الطلائع المتطلعة لنيل شرف الالتحاق بهم في مسيرة الجهاد الكبير الذي سيحتاج حتماً إلى جهود أجيال من الرجال.

إننا ننصح - والدين النصيحة - في أمور أصبح النصح فيهافريضة، والتواصي بها والتعاون عليها من أوجب الواجبات.

ونحن إذ نبعث هذه الرسالة إلى المجاهدين في أرض الأقصى وما حولها لأسباب ذكرناها[1]؛ فإن عموم هذه الرسالة ومضمونها نوجهه إلى كل المجاهدين في الأرض، بل هي رسالتنا التي نوجهها إلى كل مسلم على وجه البسيطة اليوم وغداً وبعد غد؛ فالإسلام لا يعرف حدوداً بين المسلمين، ولا يعرف فواصل تفرق بينهم في النصرة والنصح والمشورة، أرض الإسلام أرض واحدة؛ كما أن ربهم واحد وعقيدتهم واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إذا دخل العدو بلاد المسلمين؛ فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة»[2].

(١) انظر: ص ٧، ٨، ٩، من هذه الرسالة.
(٢) الفتاوى الكبرى، (٤ / ٦٠٨).

أبا سليمان قلبي لا يطاوعني ... على تجاهل أحبابي وإخواني
إذا اشتكى مسلم في الهند أرقني ... وإن بكى مسلم في الصين أبكاني
ومصر ريحانتي والشام نرجستي ... وفي الجزيرة تاريخي وعنواني
أرى بخارى بلادي وهي نائية ... وأستريح إلى ذكرى خراسان
فأينما ذكر اسم الله في بلد ... عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني
شريعة الله لمت شملنا وبنت ... لنا معالم إحسان وإيمان

وهناك أسباب مهمة تجعل المناصحة والمصارحة الآن أمراً واجباً أكثر من أي وقت مضى:

- **منها**: أنَّ الإعلام الغربي والإعلام العربي مارسا دوراً خطيراً في تشويه الحقائق، وتزييف الوعي، وتغييب الأمة مدة طويلة عن حقيقة القضية الفلسطينية، وأبعادها العقدية والتاريخية والسياسية.

- **ومنها**: أن القضية الفلسطينية قد دخلت في الآونة الأخيرة أخطر مراحلها؛ بتخلي أكثر الأنظمة العربية والإسلامية عنها؛ بعد ثبوت إخفاق كل الحلول غير الإسلامية التي قدمها العلمانيون عبر أكثر من خمسين سنة.

- **ومنها**: أن منظمة التحرير الفلسطينية قد استهلكت جميع أوراقها، ولم تعد قادرة على التصدي لحمل المسؤولية سلماً أو حرباً؛ بعد أن تركتها الأنظمة تلقى مصيرها أمام الهجمة الإسرائيلية.

ـ **ومنها**: أن العدو اليهودي يحشد في تلك الظروف حشوداً هائلة لتنفيذ جملة من الأهداف المؤجلة طيلة العقود الماضية؛ استغلالاً للظروف الدولية الراهنة، وإذا لم يجد من يعرقل خططه فقد نجد أنفسنا أمام واقع أكثر استعصاء وصعوبة.

ـ **ومنها**: دخول أمريكا السافر على خط المواجهة المباشرة بجانب العدو اليهودي باسم «الحرب على الإرهاب»، خاصة بعد صعود المحافظين اليهود الجدد، وتحالفهم مع الصهاينة الإنجيليين النصارى الذين يرون أن في دعمهم لليهود في فلسطين تحقيقاً للنبوءات التي يتعلقون بها.

ـ **ومنها**: ـ ولعل ذلك أهمها ـ أن الحركة الإسلامية توشك أن تصبح في واجهة الصراع الجهادي وحدها؛ بعد أن سقطت وأخفقت كل السياسات العلمانية في حمل القضية والتصدي للعدو حرباً أو سلماً؛ مما سيكسب القضية ـ في حال تجرد الصراع مع الإسلاميين ـ أبعاداً أخطر على كل المستويات؛ فقضية فلسطين لم تعد مجرد خلافات سياسية، أو تعقيدات دبلوماسية، كما أنها لم تعد مجرد مشكلة أرض أو أزمة شعب، بل أخطر من كل ذلك؛ حيث تتطور القضية بسرعة إلى صراع ديني صريح، دولة يهودية تتحرك في أجواء حرب صليبية وضمن منظومتها، ضد حركات إسلامية أصبحت أحد الأهداف الرئيسة في تلك

الحرب العالمية الأمريكية اليهودية.

ومع ذلك نقول: لو كنا شعوباً بلا ماضٍ، أو قبائل بلا مستقبل، أو أمة بلا دين لقلنا: غُلبنا على أمرنا وليس من الحكمة أن نواجه العالم المتوحد في تنكره لحقوقنا، ولكن.. كيف ونحن خير أمة أخرجت للناس، وديننا يبشرنا بأن العاقبة لنا في هذا الصراع، وأن الدائرة ستدور على أعدائنا إذا استمسكنا بثوابت شرعنا، وأخذنا بكل الأسباب المشروعة لنصرة قضيتنا؟!

لا مجال إذن لأن يستسلم الإسلاميون كما استسلم العلمانيون، ولا مناص أمام الإسلاميين في فلسطين وخارجها من تجديد الاستعداد للمعركة المصيرية الطويلة ـ التي قد بدأت الآن ـ من الآن، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٥].

لا شك أنكم ـ إخواننا المجاهدين ـ وأنتم في بؤرة الأحداث وفي معمعة المعارك؛ تتطلعون إلى النصرة من كل المسلمين في العالم، وهذا حقكم الشرعي وهو واجبنا الديني؛ حيث لا خير فينا إن لم نقدم هذه

النصرة لكل قضية إسلامية؛ فكيف إذا كانت تلك القضية هي قضية صراع عقدي، وقضية أرض مقدسة بنص القرآن؟! بل إننا نصارحكم أننا نتحدث معكم من منطلق المشاركة في المسؤولية قبل أن يكون حديثنا من منطلق المناصحات الأخوية، فقضية فلسطين ـ كما استقر في الأدبيات الإسلامية ـ هي بحق القضية المركزية الأولى للمسلمين في العالم، وليس في هذا مبالغة، بل هذه هي الحقيقة المجردة؛ لأن إنقاذ المسجد الأقصى مسؤولية كل مسلم، ومواجهة الطغيان اليهودي على إخواننا في فلسطين هو مسؤولية كل مسلم، وإقامة الجهاد لدحرهم عن الأرض المقدسة وما حولها من أوطان المسلمين، أصبحت مسؤولية كل من ينتسب إلى هذا الدين؛ وذلك بحكم محكمات الشريعة، وفتاوى العدول من علماء المسلمين.

إننا نستشعر ـ إخواننا في فلسطين ـ ولعلكم تشاركوننا في ذلك؛ أن التصدي للهجمة اليهودية الأمريكية على بلادكم لم تعد تكفي فيه جهود فصيل واحد أو فصيلين من الحركات الإسلامية المجاهدة، وبخاصة بعد أن دخل الصراع مرحلة «المواجهة الشاملة» التي تستهدف استئصال روح الإسلام من فلسطين، وإسقاط راية الجهاد فيها بعد أن رفعت لأول مرة بتلك القوة منذ أكثر من نصف قرن.

لهذا نتداعى معكم لبحث أمثل السبل لإدارة تلك المعركة التي قد تمتد لأجيال، والتي لا يمكن تحقيق نصر حقيقي فيها بدون بذل الأسباب

«الشرعية» ـ ونكرر : «الشرعية» لهذا النصر، فالنصر في الإسلام ـ يا إخوتنا ـ وكما تعلمون؛ لا يكون إلا بالإسلام، وقد شهد على ذلك تاريخنا كله قديماً وحديثاً، نعم؛ فقد شاء الله ألا تنتصر هذه الأمة أبداً بغير الإسلام، حتى لا يقول المسلمون انتصرنا بغير الإسلام، فتضيع حجة الله على العالمين.

وصدق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما قال: «إنَّا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»(١). ولكن النصر بالإسلام ليس بمجرد دعوى الإسلام، بل بحقيقة إقامة دين الإسلام، فنصر الله لا يجيء إلا بأن ننصر الله في دينه؛ ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]، فبقدر إيماننا وإخلاصنا وصدق يقيننا، وتوكلنا وتواضع بعضنا لبعض يقترب نصرنا، قال رسول الله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»(٢). والنصر قد يكون قريباً،

(١) الأثر أخرجه: الحاكم في المستدرك، في كتاب الإيمان (١/ ٦٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في الصحيحة (١/ ٨): «وهو كما قالا».

(٢) أخرجه: النسائي في السنن الكبرى، كتاب الجهاد، باب: الاستنصار بالضعيف، (٤/ ٣٠٥)، رقم (٤٣٧٢).

وقد يتخلف ويتأخر لأجيال إذا استمر التفريط في أسبابه الشرعية، وكل ذلك بحكمة. . وكل ذلك بسنن إلهية لا تتخلف: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

إننا نذكِّر إخواننا في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس أن صلاحهم وعبوديتهم لربهم، وتضرعهم وتذللهم بين يديه، والتزامهم بأمره ونهيه، وحرصهم على تزكية النفس وتطهيرها من أدرانها من أعظم عدد النصر والتمكين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويتأكد ذلك عند التحام الصفوف، واشتداد القتال؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وكان أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ يقول لأصحابه قبل القتال: «عمل صالح قبل الغزو؛ فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم»(١).

ولهذا كانت الذنوب سبباً عظيماً من أسباب الهزيمة، وتدبروا قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ

(١) أخرجه: عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد، ص ٦١، رقم (٥)، وبوَّب له البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه فقال: «باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم» (٦ / ٢٤).

وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤] .

والنصر الذي نريده ـ أيها المرابطون ـ مهمته عسيرة، وطريقه صعبة، وأنتم أول من يدرك ذلك؛ لأن العدو جبار، والصديق خوار، والناصر قليل، ولكن كل ذلك يعوضه تأييد الله وولايته للفئة المؤمنة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، ويعوضه تأليف الله بين قلوب هذه الفئة: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]، وتعوضه محبة الله لهذه الفئة ونصرته إياها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

فكيف نُكَوِّن هذه الفئة؟ وكيف نَكُون هذا الصف؟ وكيف سيمضي هذا الكيان في استعداده وجهاده واستشهاده؟ وما النصر الذي نريده من هذا الجهاد؟

أولاً: الجهاد الذي نريد، والنصر الذي ننشد

عبر أكثر من خمسين عاماً، كان خط المواجهة في فلسطين يسير عبر طرق متعرجة لا تعرف استقامة على نهج واحد، وكان ذلك بسبب تعدد الرايات واختلاف الشعارات، ومع أن القضية بذلت الأمة لأجلها الكثير؛ فإنها لم تجن إلا أقل القليل، بل كانت تخسر المزيد كلما دخلت معركة جديدة.

وباستثناء فترات محدودة لقطاعات قليلة طبقت مفهوم الجهاد الشرعي الإسلامي في فلسطين؛ فإن الغالب على حروب العرب مع اليهود؛ أنها كانت حروباً مفرغة من غاياتها الإسلامية، ومعطلة من راياتها الإيمانية، وكان هذا سبباً رئيساً في تكرار الهزائم. فالعرب ـ وكما هو معروف ـ لم يتحدثوا يوماً في خطابهم الرسمي عن غايات الجهاد الشرعي في معركتهم، فضلاً عن تطبيقها على أرض الواقع، ولا نذكر أن أحداً من القادة قال إن العرب يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أو نحو هذا الكلام أو ما يندرج تحته، بل كان المتردد في أدبياتهم، بلا كلال ولا ملل؛ التحدث عن أهداف مجردة من كل بُعد إسلامي من قبيل: «مواجهة الاستعمار، والصهيونية، والإمبريالية»، «تحرير كل شبر من الأرض العربية»، «القضاء على

التحالف بين الصهيونية والرجعية»، «ثورة حتىٰ النصر» . . . إلىٰ آخر تلك الشعارات التي كانت ترفعها أنظمة أو منظمات متهمة في دينها أو مشبوهة في توجهها. ولا نريد هنا أن نكرر الحديث عن تاريخ ماضٍ ما زلنا نعيش حاضره ونخاف من مستقبله؛ مع القوم أنفسهم الذين جنوا علىٰ القضية مرة باسم المعركة القومية، ومرة باسم الثورة الوطنية، ومرة باسم المشاركة في العملية السلمية ومساراتها المنفردة والثنائية والثلاثية، وما تبع ذلك من أوهام الشرق أوسطية، وغير ذلك من البرامج التي أوصلت إلىٰ خفض السقف العربي في الصراع إلىٰ المستوىٰ الذي لا يستطيعون البقاء تحته إلا أن ينبطحوا أرضاً.

أين هذا من غايات الجهاد الشريفة في الإسلام؟! وأين تلك الشعارات الهزيلة من سمو تلك الشعيرة السامية: (الجهاد في سبيل الله) التي وصفها رسول الله ﷺ بأنها: «ذروة سنام الإسلام»[1].

نحمد الله أن بدأت الأمة تفيق من هذا الكابوس، وتبصر طريقها بعد تيه وتخبط طويل؛ بسلوك حركات الجهاد الإسلامي الفلسطيني طريق العودة إلىٰ المسار الصحيح؛ ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن**

(١) أخرجه: أحمد في مسنده، (٣٦ / ٣٤٥) رقم (٢٢٠١٦)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، (٥ / ١١ ـ ١٢) رقم (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، (٢ / ١٣١٤ ـ ١٣١٥) رقم (٣٩٧٣)، وإسناده صحيح.

﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]. ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ولكننا نصارح إخواننا بكل محبة: بأننا ما زلنا ننتظر الكثير منهم ـ والله يعيننا معهم ـ لكي نزيل آثار العدوان العلماني على قضية بيت المقدس؛ إذ بالغ هذا العدوان في تشويه وجه القضية ومسخها، حتى أفلح في صرف اهتمامات جمهور الأمة عنها لعدة عقود.

لا تزال القضية تحتاج منا إلى الكثير لإعادتها إلى الوجه الإسلامي الصحيح، فما درج العلمانيون على استبعاده بانتظام من الغايات والرايات والمصطلحات الإسلامية في قضية فلسطين؛ لا بد من السير على عكسه في برنامج تطهيري وإحلال تدريجي للبدائل الإسلامية، فهذا دور تجديدي مُلِحّ، لا بد أن يبدأ به المجاهدون والدعاة من أهل فلسطين أولاً حتى تتبعهم الأمة في ذلك؛ وخصوصاً أن الإعلام العالمي بدأ يركز الاهتمام حول طروحاتهم وتصريحاتهم. ونحن نعدّ هذا جزءاً من العملية الدعوية المصاحبة للعملية الجهادية الشاملة التي حباهم الله شرف التصدي لها في المراحل الراهنة والمقبلة.

لكننا ما زلنا للأسف نرى ـ أحياناً ـ بعض رواسب الخطاب العلماني الكريه في طروحات بعض الرموز الإسلامية الفلسطينية وشعاراتهم

وأحاديثهم التي قد لا نجد فارقاً كبيراً بين بعض مفردات خطابها، وخطاب الفصائل العلمانية الفلسطينية التي ما زالت تستعمل المصطلحات العلمانية البالية الباهتة نفسها؛ مثل: «نضالنا الوطني»، «كفاحنا الثوري»، «الشهادة في سبيل الوطن»، «الوحدة بين القوىٰ الوطنية والإسلامية»، «مقدساتنا المسيحية(!) والإسلامية»، «تحرير كامل التراب الوطني»... ونحوها.

نرىٰ أن بقاء هذه الرواسب ذات النكهة العلمانية شيء يؤسف له، ومما يؤسف له أكثر؛ الثناء غير المسوَّغ علىٰ بعض الزعامات العلمانية المعادية للخط الإسلامي، ووصف بعضها بأوصاف التبجيل والتعظيم؛ مثل: «الرمز فلان»، «المناضل فلان».

نقول: إن تعظيم مثل تلك الشخصيات العلمانية الصريحة، وتكرار مثل تلك الشعارات الميتة لم يفلح في جمع الأمة فيما مضىٰ حول قضية فلسطين، ولن يفلح في الحاضر أو المستقبل في إغراء المخلصين في أنحاء العالم الإسلامي بتبني تلك القضية، وإعطائها ما يليق بها في سُلّم الأولويات.

لا نطالب ـ بداهة ـ بالصدام مع الاتجاهات الأخرىٰ غير الإسلامية، وفتح جبهات ومعارك جانبية، ونعلم أن مراد بعض من يرددون تلك العبارات والشعارات هو عدم تفريق الصف الفلسطيني، ولا شك أن وحدة الصف شيء مطلوب ومهم، ولكن السؤال الأهم: علىٰ أي شيء يتوحد الصف؟

إن الجـواب عن هـذا السـؤال قد تكفل الله ـ تعالىٰ ـ بإيضاحـه في القـرآن؛ حيث قـال ـ سبحـانه ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، فالصف المطلوب أن يكون بنياناً مرصوصاً؛ هو الصف الذي يجمع من ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾، فأولئك هم الذين يحبهم الله، ويحب رص الصفوف تحت رايتهم، وهم أولئك العباد الصالحون الذين تجب ملازمتهم، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. وهؤلاء العباد الذين تربوا علىٰ آيات البقرة وآل عمران، هم ردؤكم الذين يثبتون ـ بعون الله ـ في الملمات، ولهذا لـمَّا حمي الوطيس يوم اليمامة، كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتنادون ويوصي بعضهم بعضاً، ويقولون: «يا أصحاب سورة البقرة»(١).

لهذا نرىٰ: أن تنقية الخطاب الإسلامي من تلك النزعات والنزغات العلمانية مطلب مهم، لا بوصفها جزءاً من الخطة الإعلامية الإسلامية فقط، ولكن وفق خط تغييري استراتيجي يهدف إلىٰ (أسلمة) القضية شكلاً وجوهراً.. مظهراً ومخبراً.. صورة وحقيقة.

وسوف يعيننا علىٰ ذلك كثيراً؛ تذكر الهدىٰ الإسلامي وثوابته في إقامة شرعة الجهاد، بوصفه أسمىٰ درجات القربىٰ، وذروة سنام الإسلام.

ولعل ذلك يتضح من خلال استعراض نقاط رئيسة متعلقة

(١) البداية والنهاية (٩/ ٤٦٨)، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي.

بالموضوع، مع إيراد الشواهد عليها من نصوص الوحي المعصوم كتاباً وسنة، وهي شواهد أكثرها معلوم، ولكن نريد من خلال التذكير بها إيضاح منظومة الجهاد في الإسلام في سياق واحد مختصر، يتضح بجانبه ويظهر مقارنة به، هزال منظومة القتال في ظل الشعارات العلمانية على اختلاف مسمياتها ومضامينها، تلك التي لم تثمر خلال عقود الصراع إلا الخسار والدمار والهزائم. ونشير هنا إلى أن المراد ليس هو استعراض مسائل خلافية، أو دقائق علمية مما يفتقر إلى الفتوى والنظر، ولكن المراد هو إيراد الثوابت العامة والخطوط العريضة التي يكون بها القتال جهاداً شرعياً يُستنزل به النصر، وتُنال به الشهادة.

١ ـ راية القتال في الإسلام:

تكرر في نصوص الوحي وصف الجهاد في الإسلام بأنه (في سبيل الله)؛ فهذا شعاره ودثاره، وهذا مظهره وجوهره.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [**البقرة**: ١٩٠].

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [**البقرة**: ٢١٨].

﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [**البقرة**: ٢٤٤].

﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤] .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] ، وقال: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ [النساء: ٨٤] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١] .

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١١] .

ولما سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، فقال السائل - وهو عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قال: ثم أي؟: قال: «الجهاد في سبيل الله»(١).

ولما سئل ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن يجاهد في سبيل الله

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل الجهاد، (٦ / ٦) رقم (٢٧٨٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: كون الإيمان بالله - تعالى - أفضل الأعمال، (١ / ٩٠) رقم (٨٥).

بنفسه وماله»[١].

فنحن نلحظ في هذه الآيات وتلك الأحاديث ـ وغيرها كثير ـ اقتران القتال والجهاد الشرعي بوصف (في سبيل الله)، فراية الجهاد في الإسلام هي فقط أن يكون في سبيل الله، وأما ما دون ذلك من الرايات فهي رايات عِمِّيَّة جاهلية، لا يُعد الجهاد تحتها شرعياً، ولا يعد المقتول في سبيلها شهيداً، قال رسول الله ﷺ: «من قاتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة؛ فقُتل؛ فقِتْلَةٌ جاهلية»[٢].

وحينما كانت هذه المعاني الشرعية الكريمة غائبة، واستبدلت بها الشعارات الدنيوية الدخيلة، هانت القضية على المتصدرين لها، واستسلموا أذلاء لدعوات الترغيب والترهيب، وسقطوا في مستنقعات الخيانة، وباعوا دينهم وأرضهم وحقوقهم بثمن بخس..!

وهذا يجعلنا نذكركم ـ إخواننا في الله ـ بأن المجاهدين في سبيل الله عندما يستسلمون لربهم، ويعتزون بإيمانهم؛ فإنهم يستعلون على أهواء البشر وأحابيلهم، ويستعصون على الترويض، ويبصرون طريقهم بكل وضوح؛ فإمَّا النصر والعزة وإما الشهادة والجنة.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس، (٦/ ٦) رقم (٢٧٨٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والرباط، (٣/ ١٥٠٣) رقم (١٨٨٨).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين، (٣/ ١٤٧٦) رقم (١٨٤٨).

٢ ـ متى يعد القتال جهاداً في سبيل الله؟

سُئل الرسول ﷺ عن ذلك، فقد جاءه رجل يسأل: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرىٰ مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل»(١)، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: «المراد بكلمة الله: دعوة الله إلىٰ الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط»(٢).

إذن؛ مثل هذا الجهاد أو ما يدخل ضمن أصله؛ هو فقط الذي يبنىٰ عليه الأجر، ويقترن به وعد الله بالنصر والشهادة، قال ﷺ: «تضمَّن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلىٰ مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب العلم، باب: من سأل وهو قائم، (١ / ٢٢٢) رقم (١٢٣)، وأخرجه في الجهاد، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (٦ / ٢٧ ـ ٢٨) رقم (٢٨١٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (٣ / ١٥١٣)، رقم (١٩٠٤).

(٢) فتح الباري (٦ / ٢٨).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب الإيمان، باب: الجهاد من الإيمان، (١ / ٩٢) رقم (٣١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، (٣ / ١٤٩٥) رقم (١٨٧٦)، واللفظ لمسلم.

٣ ـ شروط الجهاد الشرعي المقبول:

مثل كل عبادة في الإسلام لا بد في الجهاد لكي يكون شرعياً مقبولاً أن يقوم على الإخلاص والاتباع. ومعنى قيامه على الإخلاص أن يُبتغى به وجه الله، وتصحح فيه النية، وتُنقَّى من الرياء والعُجب والبطر. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [**الأنفال**: ٤٧].

نستطيع أن نقول: إن أي قتال أو أي خروج لا يكون في سبيل الله بصورة واضحة، فهو ليس إلا قتالاً في سبيل الشيطان، وهذا ليس سبيل المؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [**النساء**: ٧٦].

كما أن الجهاد في سبيل الله يقتضي جعله من أجل الله وحده لا شريك له، لا من أجل الناس، وقد قال النبي ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ثلاثة» وذكر منهم: «رجل استشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[(١)]، وهذا الحديث يدل

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (٣/ ١٥١٤) رقم (١٩٠٥) واللفظ له، والترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة (٤/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) رقم (٢٣٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: من راءى بقراءة القرآن، (٧/ ٢٨٤).

على خطر فقدان الإخلاص في الجهاد مما قد يحبطه، أو يحوله من طاعة موصلة إلى أعلى درجات الجنة إلى معصية يُطرح صاحبها في النار، فمحافظة المجاهد على نيته، وإخلاصها لله ـ عز وجل ـ هي من أعظم جهاد النفس المشروط في الجهاد بالنفس. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨ – ١٩].

ولئن كان الإخلاص لازماً في الصدقة بشق تمرة أو أقل؛ فإنه لازم في بذل النفس كلها في الجهاد في سبيل الله من باب أولى! ولهذا قال رسول الله ﷺ: «بشِّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»(١).

والاتباع واجب في الجهاد، كما هو واجب في غيره من العبادات لأنه من الشريعة، وقد قال الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

(١) أخرجه: أحمد (٣٥/ ١٤٥ـ١٤٨)، رقم (٢١٢٢٠ـ٢١٢٢٤). وصححه المحقق.

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، واتباعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ واجب في كل العبادات والقربات، ومنها، بل من أعلاها: الجهاد في سبيل الله، وكلما تمسَّك المجاهدون باتباع هدي النبي ﷺ في الجهاد كانوا أقرب للنصر، وأجدر بنوال أجر الشهادة، وقد كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بالأخذ عنه في كيفيات العبادة، كالصلاة: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(١)، والحج والعمرة: «لتأخذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»(٢)، وإقامة الحدود: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر؛ جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب؛ جلد مائة والرجم»(٣).

وكذلك شأن الجهاد؛ لا بد فيه من الأخذ عن رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يوصي سراياه عندما يخرجون للجهاد فيقول: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولاتغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الأذان، باب: الأذان للمسافرين، (٢/ ١١١)، رقم (٦٣١).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، (٢/ ٩٤٣)، رقم (١٢٩٧).

(٣) أخرجه: مسلم في كتاب الحدود، باب: حد الزنا، (٣/ ١٣١٦)، رقم (١٦٩٠).

(٤) أخرجه: مسلم في كتاب الجهاد، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، (٢/ ١٣٥٧)، رقم (١٧٣١).

وهكذا نرىٰ أن كل عبادة، وكل عمل صالح يفتقر إلىٰ الإخلاص في النية، والصواب في الاتباع، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]. قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه.

وإن من أعظم واجبات الحركات الإسلامية المجاهدة أن تربي أبناءها علىٰ لزوم الهدي النبوي الشريف، وتعظيم النصوص الشرعية، والوقوف عند حدودها، في حال السلم أو الحرب، ويتأكد ذلك في ذروة المعركة، فغاية مطلوب المجاهد في سبيل الله أن ينال رضا الله ـ تعالىٰ ـ؛ ورضاه إنما يتحقق بتجريد المتابعة لنبيه ﷺ: قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وما أجمل قول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه»(١).

وتحقيق الاتباع يتطلب الحرص علىٰ نشر العلم الشرعي في صفوف المرابطين في سبيل الله، وخاصة الأحكام الفقهية المتعلقة بالجهاد، فالعلم الصحيح ممَّا يعين ـ بإذن الله ـ علىٰ استقامة العمل، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٤ ـ أهداف الجهاد الشرعي:

لا بد من تذكر هذه الأهداف، واستصحابها، وتجديد النية بها كلما

---

(١) الفوائد، ص ٦٧.

بليت في الصدور، أو تناستها النفوس في زحمة الأحداث، وهي:

أ ـ إعلاء كلمة الله وحفظ الدين:

أعظم أهداف الجهاد في الإسلام حفظ الدين؛ حتىٰ تبقىٰ حجة الله قائمة علىٰ العالمين، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [**الأنفال**: ٣٩]، والفتنة هنا هي الشرك والكفر، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: «﴿**حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾: حتىٰ لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة. ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾؛ أي: حتىٰ تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره»[(١)]، فشرعة الجهاد تقام في الأصل لأجل هذا، وتأتي الغايات الأخرىٰ تبعاً. فتحرير الأرض يكون لمنع فتنة الكفر والشرك عنها حتىٰ لا يعبد فيها غير الله، بل يكون الدين فيها لله، فلو بقيت أرض إسلامية بعد (استقلالها) و (تحريرها) واقعة تحت هيمنة الكفر ولو كان محلياً وطنياً، لَمَا غيَّر ذلك من أمر وجوب الجهاد شيئاً حتىٰ تتحرر تلك الأرض من سيطرة الكفار، وتستقل عن التبعية الاعتقادية والثقافية والسياسية لهم؛ ولهذا نقول: إن هدف إعلان الدولة ليس غرضاً في حد ذاته، ولكن لما سيكون عليه أمر هذه الدولة، ولما ستقوم علىٰ أساسه هذه الدولة، فالأمر ليس مجرد إحلال سلطة

(١) تفسير ابن جرير، (٩ / ١٦٢).

محل سلطة، ولكن ما هو السلطان الذي ستقيمه هذه السلطة؛ أهو سلطان القرآن، أم سلطان الشيطان؟!

وتحرير الشعوب الإسلامية كذلك يكون لصد ضرر الكفر والشرك عن الناس؛ حتىٰ لا يفتنوا في دينهم، فمهما بقي شعب من شعوب المسلمين سالماً آمناً معافىً في حياته الدنيوية وأموره المعيشية، لكن في ظل أرض مهدورة الاستقلال تحت حكم الكفار؛ فهو شعب مغلوب علىٰ أمره، مغصوب في حقه، ولا بد من تحريره، ليمكَّن من إقامة دينه كاملاً علىٰ أرضه، كما هو ممكَّن من إصلاح دنياه كاملة؛ فما جاء أصحاب الرسالات لأقوامهم إلا لأجل أن يُعبد الله وحده في أرضه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومثل هذا يقال في تحرير المقدسات، فهو تحرير لها حتىٰ لا تقع تحت طائلة الكفار وسيطرتهم فيدنسوها بإقامة العبادات الكفرية والشركية فيها، فالمقدسات ليست مجرد أبنية تراثية من أحجار يحتفظ بها كآثار، بل لا بد لها من إعمار، وإعمارها في الأصل هو أن يُعبد الله ـ تعالىٰ ـ وحده فيها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

إن هذه الغايات المتوخاة من وراء الجهاد؛ هي عامة في كل أرض وكل شعب وكل مقدسات، والكفر الذي يهددها أياً كان غير مقبول، بل هو محل جهاد المجاهدين واحتساب المحتسبين سواء كان ذلك الكفر يهودياً أو نصرانياً، شرقياً أو غربياً أو حتى عربياً. وتظل غاية الجهاد واحدة في جوهرها: ألا تكون فتنة وأن يكون الدين ـ كل الدين ـ لله رب العالمين. أما أن يبذل المسلمون أرواحهم ويريقوا دماءهم؛ ليخضعوا بعد (الاستقلال) لطوائف الضلال الذين يريدونها فتنة، وأن يكون الدين فيها أو الحكم فيها لغير الله، فهذا هو الخسران الكبير؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، والجهاد أو القتال الذي تكون ثمرته دولة غير إسلامية في حكمها وتشريعها وعلاقاتها؛ عصيان لله وتغرير بالأمة وخداع للشعوب، وهدر للطاقات البشرية والمالية في غير طائل، وهذا للأسف الشديد ما كان يحدث بانتظام في أكثر ما كان يسمى بـ (ثورات الاستقلال الوطني) في العالم الإسلامي؛ حيث تحولت أحوال كثير من البلدان ـ بعد الاستقلال ـ إلى أسوأ مما كانت عليه أثناء الاستعمار، وما ذلك إلا لأن القائمين على أمر جهاد الشعوب فيها كانوا ممن لا يعنيهم في جهادها ألا تكون فتنة أو أن يكون الدين كله لله.

ب ـ حفظ أنفس المسلمين ودمائهم وأعراضهم:

فحرمة المسلم في نفسه وماله ودمه وعرضه، كحرمته في دينه وعقيدته، ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

ج ـ كسر شوكة الكفار ثأراً لله:

حتى لا يكون بأس الكفر فوق سلطان الإسلام، فالإسلام لا يسمح بأن تكون قوى الكفر عظيمة في العالم، فضلاً عن أن تكون هي القوة العظمى فيه؛ لأن في ذلك إضاعة للتوحيد الذي ما خلق الله الجن والإنس إلا لتحقيقه عن طريق عبادة الله وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومما يدل دلالة واضحة على هذه الغاية العظمى من غايات الجهاد الشرعي قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ [النساء: ٨٤]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، فما دام الكفر غير صاغر فالجهاد الشرعي واجب وقائم، لا لإلغاء ملل الكفر من قلوب الخلق، بل لإضعاف سلطان الكفار إلى حد الصَّغَار.

وتمكين ملة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من العرض على الناس عزيزة؛ من خلال كيان قوي للمؤمنين والمسلمين الذين اختارهم الله للشهادة على العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

د ـ حفظ كيان المؤمنين، وحفظ سلطان الإسلام:

فالجهاد مشروع لإبقاء الكيان الإسلامي ـ في حال وجوده ـ قوياً بل أقوى من كل الكيانات، فهذا الكيان سواء كان خلافة أم سلطنة أم مملكة، أم دولة، أم إمارة تحكم بما أنزل الله؛ إذا ظهر ما يتهدده من أي خطر داخلي أو خارجي؛ فعلى المسلمين أن يدفعوا عنه كل اعتداء؛ لأن الاعتداء والتهديد هنا يعني فتنة الأمة عن دينها، وعدم تمكينها من أداء رسالتها في البلاغ والشهادة على الناس، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

هـ ـ رفع الظلم الواقع على المسلمين من الكفار أو المشركين أو المنافقين:

وسواء أكان هذا الظلم واقعاً أم متوقعاً أم حتى سابق الوقوع، فالمظالم لا تسقط بالتقادم؛ فكل مسلم أُخرج من داره، أو حُرم من ماله

وعياله، فحقه محفوظ إلىٰ أن يُستعاد حقه أو يُثأر له بالقصاص العادل، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ـ ٤٠].

إن حق الملايين الأربعة الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، والذين يطلق عليهم إعلامياً (اللاجئون)؛ لا تملك السلطة الفلسطينية، ولا كل سلطات الدول العربية والإسلامية أن تتنازل عنه لليهود، فهو حق محفوظ واجب علىٰ الأجيال أن تتناوب علىٰ حمل أمانته، حتىٰ يأتي الجيل الذي يستطيع أن يجاهد حق الجهاد لرفع هذه المظلمة التاريخية ومعها بقية المظالم؛ فهذا هدف بحد ذاته للجهاد في سبيل الله. ولو لم يكن هناك سبب لجهاد اليهود في فلسطين إلا هذا السبب؛ لكفىٰ في مشروعيته، بل في وجوبه وفرضية القتال؛ حيث نزل به الإذن من فوق سبع سماوات: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

و ـ تمكين الدعوة من المضي في طريقها:

دون أن يعرقل سيرها جبار، أو يحول بينها وبين الناس طاغية، فالواجب أن تزال العوائق من طريق الدعوة؛ حتىٰ يختار الناس لأنفسهم بكامل حريتهم العقيدة التي يريدون، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فكما لا إكراه على الإسلام، فلا إكراه على الكفر؛ بحجب الدعوة قسراً عن الوصول إلى أهدافها؛ فلو حدث ذلك الحجب والمنع لكان الحاجبون المانعون هدفاً وغرضاً لجهاد المجاهدين.

ز- الشهادة في سبيل الله:

ومن أهداف الجهاد الشرعي: طلب الجنة بنوال الشهادة في سبيل الله، قال- تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد؛ يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة»(١)، وميدان طلب الجنة فسيح، فساحته جهاد الدفع وجهاد الطلب، فمن تطلب أهدافاً جهادية مشروعة بغرض تأمين مستقبله الأخروي بنيل الشهادة؛ فتلك غاية سامية، يخدم بها المجاهد نفسه، ويخدم أمته ويخدم أغراض الجهاد. ومن توسل إلى ذلك بجهاد الدفاع فجهاده وشهادته جديرة بالقبول بإذن الله.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، (٦/ ٣٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الشهادة، (٣/ ١٤٩٨) رقم (١٨٧٧).

ح ـ قمع النفاق إذا استعلن وظهر :

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] ، فجهاد المنافقين إذا أظهروا ما يبطنون من العداء للدين ، واجب بالسيف والسنان ، كما أنه واجب ـ إذا لم يظهروه ـ بالحجة واللسان . وتتنوع الحال في ذلك بحسب المصلحة ، وبحسب شكل النفاق الذي يبدو فيه المنافقون ، فالمنافقون دائماً محل للجهاد والجلاد ، لا للتوقير والتعظيم ، وقد قال النبي ﷺ : «لا تقولوا للمنافق سيدنا ؛ فإنه إن يَكُ سيدكم فقد أسخطتم ربكم»(١) .

هذه هي أبرز غايات الجهاد الشرعي وأهدافه ، وهي كما ترون ـ إخوة الإسلام ـ لا تمت بصلة إلى ما دأب العلمانيون على إعلانه من أهداف لـ (الكفاح) و (النضال) و (الثورة) طيلة أكثر من نصف قرن . وإحياء ما اندرس من هذه الغايات من أعظم أبواب التجديد ، ومن أوجب واجبات الحركة الإسلامية في أرض الرباط ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يعينهم على تحقيقها .

---

(١) أخرجه : أحمد في المسند ، (٣٨ / ٢٢) رقم (٢٢٩٣٩) واللفظ له ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب : لا يقول المملوك ربي وربتي ، (٤ / ٢٩٥) رقم (٤٩٧٧) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٧١) .

ثانياً: الفئة المؤمنة المستحقة للنصر.. من هي؟

لن نطيل في المقدمات والتنظيرات لنصل إلى تلك النتيجة بعد عناء، فالنتيجة قريبة، قرَّبها لنا رسول الله ﷺ بنفسه، وجعلها جاهزة أمام أفئدتنا، شاخصة أمام أبصارنا، عندما عيَّن هو تلك الفئة، وحدد بنفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الطائفة المستحقة للنصر أو (المنصورة) في الحديث الذي رواه عنه أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»(١).

ولفضل الله ـ تعالى ـ عليكم، وجميل حظنا وحظ المسلمين جميعاً بكم، أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخبر في الحديث نفسه أن تلك الطائفة ستكثر كلما تقادم الزمان ببلادكم المقدسة، فعندما سئل: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»(٢).

(١ ، ٢) رواه أحمد في مسنده، (٣٦ / ٦٥٦ ـ ٦٥٧) رقم (٢٢٣٢٠)، والطبراني في الكبير برقم (٧٦٤٣) (٨ / ١٧١)، وذكره ابن الجوزي في فضائل القدس، ص ٩٣، وحديث الطائفة المنصورة له روايات كثيرة، عدها جمع من أهل العلم متواترة، منهم ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) (١ / ٦٩)، =

وليس معنىٰ هذا ـ بداهة ـ خلو بقية الأرض منها، ولكن معناه كما بيَّن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن ظهورها وانتصارها سيكون في بيت المقدس في آخر الزمان أكثر. قال ـ رحمه الله ـ: «دلَّ الكتاب والسنة، وما روي عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مع ما عُلم بالحس والعقل أن الخلق والأمر ابتدءا من مكة أم القرىٰ، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة أن ملك النبوة بالشام والحشر إليها، فإلىٰ بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان أظهر بالشام»[1].

وظهور الطائفة المنصورة شامل لظهور الحجة والبيان وظهور السيف والسنان، فهم (علىٰ الحق ظاهرين) و (يقاتلون علىٰ الحق) كما دلت

= والسيوطي في (قطف الأزهار المتناثرة من الأخبار المتواترة) حديث رقم (٨١)، ص ٢١٦، وعده الزبيدي من الأحاديث المتواترة في كتاب (لقط اللالئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة)، ص (٦٨)، وذكره الكتاني في (نظم المتناثر في الحديث المتواتر)، ص ٩٣، ولكن الرواية المذكورة هنا هي أوضحها في تحديد مكانهم في آخر الزمان.

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، ج ٢٧، ص ٤٣، ٤٤.

الروايات. إنهم دعاة للحق ومقاتلون عليه، ولا يمنع تجمعهم إلى بيت المقدس في آخر الزمان من أرجاء الأرض؛ من أن تظل بعض راياتهم موزعة على أرجاء أخرى على مر الزمان، كما قال الإمام النووي: «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[1]، ولكن يبدو ـ والله أعلم ـ أن محور الصراع ضد المسلمين كلما اقترب الزمان سيكون في بيت المقدس، ولهذا ستجتمع تلك الطائفة حوله وحول أكنافه، كدمشق وطور سيناء وبغداد وغيرها. وهذا يُشعر بأن الفئة المقاتلة هناك، لن تكون من الفلسطينيين أو أهل الشام فحسب، بل من كل مَنْ يقاتلون على الدين.

إن هذا الحديث العظيم ـ حديث الطائفة المنصورة ـ كما أنه يضاعف البشارة، فإنه يضاعف المسؤولية.. لماذا؟

لأن الرسول ﷺ قبل أن يصف هذه الطائفة بأنها شجاعة مقاتلة؛ وصفها بأنها على الحق. وعندما يصف الرسول ﷺ طائفة بأنها على الحق، فلا يمكن أن يكون منهج تلك الطائفة إلا نقياً من كل ما يناقض الحق؛ ولهذا فإن هذه الطائفة هي هي بعينها الفئة أو الفرقة التي أخبر عنها رسولنا أيضاً بأنها الناجية في الآخرة؛ فما أسعدها حظاً وما أكرمها حقاً... منصورة في الدنيا.. وناجية في الآخرة، وذلك مقتضى قوله ـ عليه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٣/ ٦٧).

الصلاة والسلام ـ الذي رواه عنه عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة؛ فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال: «الجماعة»(١)، وفي رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»(٢).

فالمنهج هنا واضح لتلك الطائفة المنصورة وهذه الفرقة الناجية: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»، وهي لم تكن لتكون منصورة، ولم

---

(١) رواه: ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب: افتراق الأمم، (٢ / ١٣٢٢) رقم (٣٩٩٢)، ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم (٦٣) (١ / ٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٩١ و ١٢٩)، ورواه الحاكم تعليقاً (١ / ٦)، وإسناده حسن وله شواهد.

(٢) رواه: الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق الأمة (٥ / ٢٦) رقم (٢٦٤١)، ورواه الآجري في (الشريعة)، ص ١٥، ١٦، والمروزي في السنن، ص ١٨، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٤٥، ١٤٧) (١ / ٩٩)، وحسنه الترمذي لشواهده الكثيرة، انظر: تحفة الأحوذي (٣ / ٣٦٨)، وأحاديث الفرقة الناجية مروية عن جمع كثير من الصحابة بطرق متعددة تؤكد ثبوتها.

تكن لتكون ناجية إلا لاستجابتها لوصية الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(١).

ولاستجابتهم للتمسك بالسنة استقرت تسميتهم عند الأئمة بـ(أهل السنة)، ولاجتماعهم عليها سُموا بـ(الجماعة) فهم أهل السنة والجماعة، وقد عرَّفهم ابن تيمية بقوله: «هم أتباع آثار الرسول باطناً وظاهراً، وأتباع سبيل السابقين من المهاجرين والأنصار، وأتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)»(٢).

والفرقة الناجية تشمل عموم أهل السنة الحاملين لأصولها، أما الطائفة المنصورة، فهم خلاصة الفرقة الناجية وخواص أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لا يكتفون بإقامة أصول القرآن والسنة ويدعون إليها

---

(١) أخرجه: أحمد في المسند، (٢٨ / ٣٦٧ و ٣٧٣ـ٣٧٧) رقم (١٧١٤٢، ١٧١٤٤ـ١٧١٤٧)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤ / ٢٠١) رقم (٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة، (٥ / ٤٤) رقم (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء، (١ / ١٦) رقم (٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) انظر: العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص ١٧٩.

فقط، بل يقاتلون عليها ويجاهدون في سبيل إقامتها (يقاتلون علىٰ الحق)، والحق هنا هو الحق بمعناه الشرعي الديني، وليس مجرد «الحق التاريخي» أو «الحق الوطني» أو «الحق القومي»، وما الحق الشرعي الذي يقاتل عليه المجاهدون في سبيل الله؛ إلا كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده التي أوصىٰ بالتمسك بها والعض بالنواجذ عليها.

إن لأهل السنة أصولاً لا بد للطائفة المنصورة أن تربي عليها العاملين والداعين والمجاهدين، وهي موجودة في مظانها من تآليف أئمة الدين وعلماء أهل السنة، وقد أجملها الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في قوله: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة»(١).

نصارحكم ـ يا أحبتنا في الأرض المقدسة ـ أن قدراً كبيراً مما أصاب المسلمين من الضعف والذل، هو بسبب ما أغرىٰ به الشيطان من الابتداع لدىٰ طوائف عديدة من المسلمين، وبخاصة البدع الاعتقادية، فهذه؛ فوق أنها تؤخر النصر، فإنها تورث الذل، قال الله ـ تعالىٰ ـ عن المبتدعة الأوائل من بني إسرائيل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾ [**الأعراف**: ١٥٢]، قال أبو قلابة

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للإمام اللالكائي، (١/ ١٥٦).

في تفسير هذه الآية: «هي والله! لكل مفتر إلى يوم القيامة»، وقال سفيان بن عيينة: «كل صاحب بدعة ذليل»[(١)]، إن طريق العز والشرف هو طريق الكتاب والسنة، ومخالفتهما بالابتداع فقدان لهذا الشرف، وتعرض لذل الحرمان من العزة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسيرها: «﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: فيه شرفكم»[(٢)].

لا حاجة إذن لأن يدعي المبتدعة أنهم أهل للشرف دونكم، أو أن جهادهم أشرف من جهادكم.

نقول هذا ونؤكده؛ لعلمنا أن فريقاً من المبتدعة ـ وخاصة الروافض ـ يراودون شعبكم عن السنة، ويزايدون على جهادكم عندما يدَّعون أو يدَّعى لهم، أنهم أول من دخل مجابهة حقيقية مع اليهود، والحق الذي سوف تثبته الأيام ـ بإذن الله ـ أن هؤلاء يعملون لحسابهم ولأجل بدعتهم فقط، ولأجل إقامة كيان رافضي عربي في الشام، يكون ردءاً لكيان الروافض في إيران.

أيها الأحبة: إنهم يدعونكم إلى الاقتداء والتأسي بمسلك من يدعونه (حزب الله) الذي قالوا إنه أول من حقق نصراً حاسماً على دولة اليهود

(١) تفسير ابن كثير، (٤ / ٢٠٢).
(٢) تفسير ابن كثير، (٤ / ١٣٥).

في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي! مع أن هذا الحزب ـ كما هو معلوم للجميع ـ هو حزب طائفي يعمل لحسابات طائفية، وهذا ما صرَّح به كبير القوم هناك حينما قال: «لا علاقة لما نقوم به ضد إسرائيل بالفلسطينيين أو الانتفاضة»، وهم ما فتئوا يرددون ويكررون أن حركتهم ستنصرف إلى العمل السياسي بمجرد الإفراج عن الأسرى اللبنانيين ـ الشيعة طبعاً ـ، وبعد تحرير مزارع شبعا في جنوب لبنان، وعندما سئل أمين حزبهم عن نية مجموعته في تقديم العون العسكري للانتفاضة رد بلا تقية: «العون العسكري ليس وارداً، ولكننا نساند الانتفاضة مساندة معنوية»!

إننا نرجو ألا يُفْرط بعض قادتكم ـ أيها المجاهدون ـ في حسن الظن بهؤلاء القوم الذين يرون في أهل السنة أعداءهم التاريخيين، وليس بين أيدينا ما يدل ـ على كل حال ـ أنَّ موقفهم هذا قد تغير أو هو قابل للتغير، حتى لو تغيرت تصريحاتهم ومزايدتهم الإعلامية.

ونقول هنا أيضاً: لا ندعو للانشغال بمعارك جانبية غير المعركة المصيرية مع اليهود، ولكن نقول: إذا ادَّعى قوم تمثيل الإسلام الصحيح وهم على غير السنة؛ فمن السُّنة أن يُعرَّف الناس بحقيقتهم حتى لا يصح إلا الصحيح، فلا يصلح في دين الله أن يُسب ويُلعن أصحاب رسول الله ﷺ وزوجاته الطاهرات ثم لا يمثل هذا عند بعضنا إلا «خلافات فرعية»!

إن الطائفة المنصورة التي نتطلع إلى ظهورها وانتصارها؛ هي أولى

الناس بمعرفة قدر الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن منهاج الفرقة الناجية هو منهجهم، ووصوله إلينا لم يأت إلا عن طريقهم.

نقول لكم يا أحفاد الفاتحين في جيوش أئمة الدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ: إن جهادكم أتقىٰ وأنقىٰ وأبقىٰ، وأهل السنة والعاملون بها في العالم؛ هم فئتكم الصادقة، ورديفكم الجاد، ومدد الله لكم في السراء والضراء.

وما يقال عن خطر الرفض علىٰ سلامة صفوفكم، يقال عن خطر كل المبتدعين ـ القدماء والمعاصرين ـ الذين جفوا رسول الله ﷺ في وصيته بلزوم سنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

إذن نقول: يا إخواننا! يا من ترومون النصر، وتتطلعون إلىٰ الظهور علىٰ الأعداء والانتصار عليهم: طريقكم إلىٰ ذلك هو انتهاج سبيل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي أخبر الرسول ﷺ عن تجمعها في أزمنة الفتن في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، إن هذا يعني عملياً:

١ ـ أن يكون الانتماء والتجمع والتحزب حول منهج الطائفة المنصورة؛ هو المادة الأولىٰ في برامج أي فصيل أو تجمع إسلامي ينشط في الدعوة أو العلم أو الجهاد.

٢ ـ أن يكون هذا المنهج واضحاً في استمساكه بالسنة والقرآن،

فاصلاً في رفض الابتداع والبهتان.

٣ ـ أن يكون هذا المنهج ظاهراً معلناً؛ بحيث يشكل هوية عامة للفصائل الإسلامية العاملة.

٤ ـ أن لا يمنع هذا الانتماء الخاص من انتماء عام لكل المسلمين على قدر أخذهم من الإسلام، فكل مسلم له من الولاء والمحبة والنصرة بقدر ما يظهر منه من دين وسنة.

٥ ـ أن يُواجه الباطل بأنه باطل دون مواربة أو مداهنة؛ حتى لا يتكرر خداع الأجيال بالمناهج الزائفة التي أنشأت شعارات وتجمعات وزعامات زائفة.

٦ ـ لا يعني ترك المداهنة للباطل عدم المهادنة معه؛ فالمسلم يهادن دون أن يداهن، فالمهادنة الموقوتة المشروطة قد تكون لصالح الحق، أما المداهنة فلن تكون إلا قتلاً له أو تمييعاً لمفهوماته.

ثالثاً: الطائفة المنصورة.. من توالي، ومن تعادي؟

لن نتردد في أن نقرر لإخواننا المجاهدين في فلسطين وما حولها، أننا وإياهم؛ لن ننال ولاية الله، ولن نستحق نصرته إلا بعد أن نعرف من نوالي ومن نعادي، ثم نجعل من هذا الولاء وذاك البراء ميثاقاً نحفظ به إيماننا أمام ربنا، فالولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين عهد الإيمان، ورباط الإسلام، وعروة الإيمان الوثقىٰ، بل هو أوثق عراه علىٰ الإطلاق، قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرىٰ الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله»(١)، فالإيمان الذي تعهد الله ـ تعالىٰ ـ بنصرة أهله في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، لا يتحقق علىٰ الوجه المقبول إلا بأن نعادي أعداء الله، ونوالي أولياء الله، بل لن نستحق نحن أن نكون من أولياء الله حتىٰ نقيم هذه العقيدة في قلوبنا، ونعيشها في واقعنا، قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «من أحب في الله وأبغض في الله، ووالىٰ في الله وعادىٰ في الله؛ فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان ـ وإن كثرت صلاته وصومه ـ حتىٰ يكون كذلك»(٢).

---

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١١٥٣٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٧٢٨).

(٢) أخرجه: ابن المبارك في الزهد، رقم (٣٥٣)، وإسناده ضعيف.

وقد ضُرب لنا المثل في ذلك بفعل خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام؛ حيث قال ـ تعالىٰ ـ في شأنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، فإذا آمنوا بالله وحده؛ فعند ذاك تبذل لهم المحبة ويقدم لهم الولاء. فجعل شرط زوال العداوة عنهم أن يؤمنوا بالله وحده.

إن أمر الولاء والبراء من معاقد الإيمان، فهو شأن قلبي ولكنه لا يصح بدون عمل، بل يصح بتطبيقه في واقع التعامل مع الناس، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ والذين معه قالوا لمن يستحقون العداوة من أقوامهم: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، فقد أبدوا وأظهروا هذه العداوة، وأداموها بشرطها الظاهر أيضاً؛ وهو عدم ظهور التزام قومهم بالإيمان بالله وحده قولاً وفعلاً.

ومع هذا نقول: إن للدعوة مقاماً غير مقام إزهاق الباطل، فقد لا تُظهر مثل تلك المشاعر أثناء الدعوة، بل يحل محلها التأليف والتلطف والموعظة الحسنة، ولكن ذلك لا ينافي نزع الشرعية الزائفة عن الباطل المعلن، بالوضوح نفسه في إظهار الحق المجرد، فجمع القلوب وتوحيد الصفوف وحشد الأنصار، لا ينبغي أن يكون إلا تحت راية حق واضح؛ فلا مكان إذن لولاء قومي أو محبة وطنية، أو انتماء لأرض أو لون أو عرق أو جنس إلا إذا كان ذلك ضمن المحبة لله وفي دين الله، وهذه أمور

قد تبدو بدهية يعرفها كل الناس؛ وبخاصة أبناء الحركة الإسلامية، ولكن نقول ينبغي تبنيها قولاً وفعلاً: فشتان بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي، فالتطبيق العملي في هذه الأمور أمر ليس بالهيّن، فقد كان هو معركة الأنبياء الصعبة مع أقوامهم.

أيها الأحبة:

لا بد لأي حركة مجاهدة تستنزل نصر الله، وتستمطر رحمته؛ أن تبني علائقها على قاعدة الولاء والبراء، أو المحبة في الله والبغض في الله، والحد الأدنى في ذلك حال القلب؛ حيث لا محبة لمبتدع غالٍ في بدعته، ولا توقير لمنافق تتفلت الزندقة من لسانه، ولا كافر مستعلن بأي ملة كفرية، فحال القلب في ذلك لا يمكن التساهل فيه من عبد يرجو الله واليوم الآخر.

وقد توجد أحوال تحتاج إلى تفصيل، لنترك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يفصل لنا أحكام ذلك، حيث يقول: «على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن، فعليه أن يواليه وإن ظلمه؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [**الحجرات**: ٩]، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله ـ سبحانه ـ بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين

كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه، والإهانة والعقاب لأعدائه، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»(١).

فنحن قد نكون أمام أحوال مختلطة، تحتاج إلى التفصيل السابق، ولكن هناك أحوال ثابتة وواضحة، لا يصلح معها التهاون في أمر الولاء والبراء إلا إذا هانت علينا أنفسنا فأهنَّاها بالحرمان من ولاية الله. فالكفار بوجه عام أعداء لنا، وواجب علينا أن نكون أعداءً لهم، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، وكفار أهل الكتاب من ضمن هؤلاء، سواء كانوا يهوداً أم نصارى، فهم ينقمون علينا ديننا، ويكرهون أي خير لنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

ويدخل فيمن تجب مفاصلتهم والبراءة منهم: المنافقون والموالون للكفار علناً والمعادون للمؤمنين ليلاً ونهاراً، والكارهون لشرع الله ودينه

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٨ / ٢٠٨، ٢٠٩).

سراً وجهاراً، فأمثال هؤلاء قال الله ـ تعالىٰ ـ فيهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، فهؤلاء ينبغي أن يكون شأن المجاهدين الصادقين تجاههم كشأن الصادق المصدوق معهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ إذ أمره الله فكان خير الممتثلين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

إن لنا ولاءً عاماً للمسلمين، كلاً بحسبه، وولاءً خاصاً لأصحاب الفرقة الناجية وهم أهل السنة إجمالاً، بجميع جماعاتهم وفصائلهم، وولاءً أخص للعلماء العاملين والمجاهدين منهم، الذين يمثلون الطائفة المنصورة في كل زمان، ونحن نعُدُّكم أنتم ـ أيها المجاهدون ـ طليعةً لتجمع تلك الطائفة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس؛ وذلك عندما تستجمعون صفتي: (علىٰ الحق ظاهرين) و (يقاتلون علىٰ الحق)؛ فهما وصفان لأجلهما عُدت الطائفة التي تجمعهما خلاصة هذه الأمة؛ وبهما تسنمت ذروة سنام الإسلام علماً وعملاً. ونحن حينما نقول بتفضيل العاملين المجاهدين علىٰ سائر الأمة؛ نستقي ذلك من وصف الرسول ﷺ لهم بأنهم (علىٰ الحق ظاهرين)، وقبل ذلك بتفضيل الله ـ تعالىٰ ـ للمجاهدين علىٰ القاعدين في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

رابعاً: خصائص الطائفة المنصورة

للطائفة المنصورة خصائص قابلة لأن تتوافر في أي طائفة تقوىٰ علىٰ استجماعها في نفسها؛ لأن تلك الخصائص هي في الأصل تكاليف شرعية، شاء الله أن يخلق لها أقواماً يستجيبون لها ويأخذونها بقوة، وخصائص الطائفة المنصورة التي تستفاد من مجموع روايات الأحاديث في ذلك؛ ليست أموراً قدرية بحتة بحيث يُظن أن تلك الطائفة ستنزل من السماء أو تنشق عنها الأرض، بل إن وجودها يتحقق علىٰ الأرض بالتزامات شرعية، من فرائض تقام وواجبات تؤدىٰ، ولننظر في تلك الخصائص التي تقوم بالطائفة المنصورة أو التي تقوم بها الطائفة المنصورة.

* **فالطائفة المنصورة: مستمسكة بالحق:**

وهذا معناه أنها تلتزم شرع الله كتاباً وسنَّة، وتتمسك بالدين الصحيح عن طريق العلم المبني علىٰ الدليل الشرعي؛ ولهذا فهم (أهل سُنَّة) لا أهل بدعة كالمعتزلة والرافضة والقدرية والجهمية والخوارج وغيرهم قديماً، ولا أهل ضلال وزيغ كالقوميين والبعثيين واليساريين والحداثيين والعصرانيين حديثاً، وهم ينقون منهجهم وصفَّهم من أي تلوث يشوه صحيح الدين، ولهذا وصفوا في بعض الروايات بأنهم (علىٰ

الدين ظاهرين)[١].

* **والطائفة المنصورة: قائمة بأمر الله:**

ومعنى ذلك أنهم ملتزمون بالشرع، مستقيمون عليه، ثابتون على أوامره، وهم أصحاب دعوة، يحملونها ويدعون الناس إليها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، فهذا معنى القيام بأمر الله الذي أمر به في قوله: ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [**الشورى**: ١٣].

ويدخل في قيامها بأمر الله: تجديد الدين، فهو من خصوصيات الطائفة المنصورة؛ ولهذا يتجدد ظهورها المنهجي والعملي على رأس كل مائة عام، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في قوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٢].

وقد نص العلماء في شرح هذا الحديث على أن لفظ (مَنْ) المذكور في الحديث قد يراد به الفرد، وقد يراد به الجماعة، وذلك على حسب الوقوع، فقد وقع أن كان التجديد حيناً على يد فرد، كعمر بن عبد العزيز والإمام الشافعي، ووقع أحياناً على يد جمع من المجددين أو طائفة

(١) وذلك في رواية عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (٣٦ / ٦٥٧) رقم (٢٢٣٢٠)، ورواها الطبراني في الكبير برقم (٧٣٦)، (٧٦٤٣) (٨ / ١٧١)، وفي مسند الشاميين برقم (٨٦٠).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، (٤ / ١٠٩) رقم (٤٢٩١)، ورواه الحاكم في كتاب الفتن (٤ / ٥٢٢)، وصححه ابن حجر في توالي التأسيس، (ص ٤٩).

منهم، قال ابن حجر: «لا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدَّعى ذلك في عمر ابن عبد العزيز»(١).

ومن هنا نستطيع القول أن التجديد يمكن أن يقع بأكثر من طائفة تحمل أكثر من خصلة من خصال الخير، فهذه طائفة مجدِّدة بالعلم، وهذه طائفة مجدِّدة بالدعوة، وتلك طائفة مجدِّدة بالجهاد، وهكذا، ولكنها في مجموعها تمثل كيان الفرقة الناجية.

ولا شك أن الصحوة الإسلامية التي نعايشها اليوم، قد بدأت ثمارها تظهر من بدايات القرن الهجري الحالي منذ أكثر من عقدين، وهي لم تظهر فجأة ولا على يد شخص واحد، وإنما ظهرت على أيدي مجموعات من العلماء والدعاة والمصلحين والمجاهدين في أنحاء العالم الإسلامي، ومن اللافت للنظر هنا أن كثيراً ممن تحدثوا عن بواكير نشأة الصحوة المعاصرة، قالوا إن انبعاثها كان بعد احتلال اليهود لمدينة القدس، عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، حيث بدأت الحمية تدب في قلوب جماهير المسلمين رويداً رويداً؛ خلال ما تبقى من القرن الرابع عشر، ثم ظهرت آثارها في معظم أنحاء العالم الإسلامي في بدايات القرن الخامس

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٩٥).

عشر إلى الآن، وهكذا التقى الخبر القدري بالوجود الفعلي لصحوة التجديد التي كان بيت المقدس مناسبة لبدئها، وسيكون مكاناً بإذن الله لتحولها إلى نهضةٍ ثم تمكين.

* **والطائفة المنصورة: تقاتل على الحق:**

فهي لا تتمثله فقط، ولا تدعو إليه فحسب، بل ولا تكتفي بالأمر به والنهي عن ضده، بل تقاتل في سبيله، كما ورد بألفاظ مختلفة في روايات حديث الطائفة المنصورة (يقاتلون على أمر الله)[١]، (يقاتلون على الحق)[٢]، (يقاتلون على الدين)[٣]، (يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها)[٤]، (حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)[٥].

---

(١) كما في رواية مسلم في كتاب الإمارة عن عبد الله بن عمرو بن العاص، (٣ / ١٥٢٤) رقم (١٩٢٤).

(٢) كما في رواية مسلم في كتاب الإمارة عن جابر بن عبد الله، (٣ / ١٥٢٤) رقم (١٩٢٣)، وهي عند أحمد في مسنده، (٢٣ / ٦٣ ، ٣٣٥) رقم (١٤٧٢٠) و (١٥١٢٧).

(٣) كما في الرواية السابقة لعبد الله ابن الإمام أحمد، والطبراني في الكبير.

(٤) أخرجه: أبو يعلى في مسنده، رقم (٦٤١٧)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم (٤٧).

(٥) كما في رواية أبي داود، في كتاب الجهاد عن عمران بن حصين، (٣ / ٤) رقم (٢٤٨٤) وفي المسند للإمام أحمد، (٣٣ / ١٤٩) رقم (١٩٩٢٠)، والحاكم في الفتن والملاحم، (٤ / ٤٥٠)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

والطائفة المنصورة المرجوة لن تكتسب هذا الوصف إلا بأن تأخذ بأسباب القوة والقدرة على القتال الشرعي الذي تتحقق به غايات الجهاد.

* **والطائفة المنصورة: ظاهرة على أعداء الدين علمياً وعملياً:**

فقد وُصف أهلها في أكثر روايات الحديث بأنهم (على الحق ظاهرين) ومعنى ظهورهم يحتمل ثلاثة معاني:

الأول: أنهم بارزون للناس معروفون بهويتهم المنهجية والجهادية.

والمعنى الثاني: ظهور حجتهم على الناس، وأن الحق معهم مع ثباتهم على هذا الحق انتصاراً به على كل باطل.

والمعنى الثالث: أنهم في مكان الغلبة والعلو والتمكين بهذا الحق ومن أجله.

والذي نفهمه أن النوع الثالث من الظهور هو ثمرة النوعين الأولين، فالطائفة المنصورة ليست على حال واحدة في كل العصور من ناحية القيام بالحق والذود عنه والحماية له؛ لأن هذا أمر نسبي، وكذلك غلبتهم وظهورهم يختلف باختلاف العصور، وبحسب اختلاف قوتهم في حمل الحق وحمايته، بل قد يختلف حال قوتهم من مكان إلى مكان كاختلافه من زمان إلى زمان، ولكن الثابت في كل ذلك أن ظهورها المستمر والدائم هو استعصاؤها على القهر والزوال علمياً وعملياً، فكلما أراد

عدو استئصال هذه الأمة أو إضلالها انتدبت له طائفة من أهل الحق فردته على أعقابه خاسراً بالسيف والسنان أو بالحجة والبيان ولو بعد حين، كما حدث في كل حركات التجديد السُّنّية وكل حركات التحرير الجهادية.

ولا شك أن هناك فترات عارضة في التاريخ يغلب فيها الضعف العلمي والاستضعاف العملي، ولكن الظهور بمعنى من معانيه يظل باقياً بشكل من الأشكال؛ إلى أن يحتاج أمر الأمة إلى أن يبعث الله لها من يجدد لها أمر دينها. ولعل عصرنا الذي نعيشه أكبر مثال على دوران حركة ظهور الدين من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان؛ حيث لم تخل بقعة إسلامية من جماعة داعية أو فئة مجاهدة، تظل أحوالها تتقلب تحت مطارق السنن، مستحقة للنصر حيناً، ومستوجبة للاستبدال حيناً، فالزمان لم يخل، ولن يخلو من قائم لله بالحجة، والتمكين في النهاية لا يأتي إلا عن سعي شرعي، كما أن الاستضعاف لا يأتي إلا عن تفريط في هذا السعي الشرعي.

وهنا نقول: إن على الكيانات الجهادية في فلسطين وغيرها إذا أرادت اقتفاء صراط الطائفة المنصورة في هذه الخاصية؛ أن تكون قوية في منهجها وحجتها في القضايا الاعتقادية بدرجة لا تقل عن ظهور منهجها وحجتها في القضايا السياسية والجهادية.

وكما أنها تحرص على أن تكون لها هويتها السياسية والجهادية، فلا

بد أن تكون لها هويتها الإيمانية الاعتقادية المعلنة والمعروفة؛ لأن الهوية الاعتقادية هي أصل الهويات، وعليها تقام الولاءات والعلاقات.

* **الطائفة المنصورة: مصابرة مرابطة:**

دلت على ذلك الألفاظ المختلفة في روايات الحديث التي تدل على أن أهل تلك الطائفة يُواجَهون بالخذلان والمخالفة، ولكن ذلك لا يثنيهم عن طريقهم «لا يضرهم من خذلهم»(١)، «لا يبالون من يخالفهم»(٢)، فهم كان بإمكانهم أن ينصرفوا بذريعة هذا الخذلان، ولكنهم (لا يبالون) بمن يخالفهم.

وأنتم ـ أيها المجاهدون ـ ابتليتم وستُبتلون بالخذلان، وتُفاجؤون بالمثبطين؛ لا من خارج دائرتكم فحسب، بل ربما من بعض الأقربين الذين يدعونكم إلى اللحاق بركب النفاق الراكع تحت أقدام اليهود، ولكن من يتمثل منهج الطائفة المنصورة ويترسم خطاها، يعلم أنه ليس وارداً في طريقها أن تترك المرابطة والمصابرة التي أمر الله ـ تعالى ـ بها وجعلكم من أهلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [**آل عمران**: ٢٠٠].

---

(١) كما في رواية مسلم عن ثوبان، في كتاب الإمارة (٣ / ١٥٢٣) رقم (١٩٢١).
(٢) كما في رواية سعيد بن منصور، في كتاب الجهاد (٢ / ١٧٨) رقم (٢٣٧٦) تحقيق: الأعظمي.

نعلم أن الضغوط عليكم لتتخلوا عن رباطكم ومصابرتكم تنوء بها الجبال؛ حيث تضغط الدول الغربية على الأنظمة العربية، وتضغط الأنظمة على المنظمة، وتضغط المنظمة عليكم لتلقوا السلاح ـ إن وُجد السلاح ـ لينعم اليهود بالأمن والسلام على أرضكم التي أوقفها عمر ـ رضي الله عنه ـ لتخلص للموحدين العابدين.

ولكن الظن بكم أن تكونوا أسوة للمرابطين من أمة محمد ﷺ، فبرباطكم سيزداد ـ بإذن الله ـ إشعاع نور الجهاد، وستشيع في الأمة روح الرباط وروح المصابرة التي ستحتاج لها الأمة كلها في المرحلة القادمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [**الزخرف**: ٤٣].

أما ما يتناقل من أخبار عن وجود روح من الإحباط واليأس بدأت تدب في قلوب فريق من أهلنا في فلسطين؛ فذلك والله! ليس عهدنا بهذا الشعب الذي ندعو الله أن يباركه كما بارك أرضه، وأن يجعله ـ كما هو العهد به ـ مناراً للأمل والفرج القريب: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [**البقرة**: ٢١٤].

وتأملوا ـ أيها الأحبة ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ**

﴿الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨]، فمن تربى من معين الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لن يتطرق الوهن أو الضعف إلى قلبه؛ بل تراه شامخاً بدينه، معتزاً بعقيدته، صابراً ثابتاً، وإن أحاطت به المحن من كل جانب. نعم، ربما يألم ويتعب، لكن يهوِّن ذلك كلَّه رجاؤه الصادق بما عند الله ـ تعالى ـ، ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «إذا كان الباطل يُصِرُّ ويصبر ويمضي في الطريق؛ فما أجدر الحق أن يكون أشد إصراراً وأعظم صبراً على المضي في الطريق»(١).

إننا نؤمن يقيناً بأن نصر الله ـ تعالى ـ لن يُنزَّل على أوليائه بمعجزة خارقة، ولكن بسُنَّة جارية تراق فيها الدماء، وتكثر فيها الجراحات والآلام، وتتابع فيها التضحيات؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً. وإن من واجب الحركة الإسلامية أن تؤكد للأمة على خيار المرابطة والجهاد في سبيل الله، وإنْ أصاب الناس ما أصابهم من اللأواء والشدة، وتحرص على تثبيتهم وتذكيرهم بفضل الله عليهم إن هم صبروا واحتسبوا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١/ ٥٤٦).

واعتصموا بحبل الله المتين، وها هو ذا رسول الله ﷺ يمرُّ بآل ياسر وهم يُعذَّبون في البطحاء فما زاد إلا أن قال لهم: «أبشروا آل ياسر! موعدكم الجنَّة»(١).

ولا شك أن هذا لن يتحقق بموعظة تتلى أو خطبة تلقى فحسب؛ ولكن بقدوات صالحة قوية في دين الله، ذاقت حلاوة اليقين، وصدَّقت بموعود الله الذي وعد به أولياءه المتقين. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ـ٧].

* **والطائفة المنصورة: دائمة الوجود:**

فهي موجودة منذ جاء الدين الخاتم، بل قبل مجيئه؛ فبنو إسرائيل أنفسهم لما كانوا أمة مختارة قبل أن يحل عليهم اللعن والغضب كان من ضمنهم فئة لها اختيار أخص، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وكذلك كان الشأن في قوم عيسى

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط، (٢ / ٣٠٥) رقم (١٥٣١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٣): «رجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم المقوِّم، وهو ثقة». وللحديث طرق يتقوى به.

عليه السلام؛ إذ كان حواريوه، ثم تلاميذ حواريه هم الفئة المختارة من أمة عيسىٰ ـ عليه السلام ـ قبل أن يبدلوا دينهم، وقد كانوا أيضاً طائفة منصورة ظاهرة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، والطائفة المختارة من قوم موسىٰ ومن قوم عيسىٰ ـ عليهما السلام ـ هي المُخْبَر عنها في حديث الافتراق: «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارىٰ علىٰ ثنتين وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة...» الحديث. وبقيت في هذه الأمة فرقة واحدة ناجية هي فرقة أهل السنة والجماعة التي تعد الطائفة المنصورة فيها هي خاصتها وخلاصتها.

وهذا يدل علىٰ أن النصر الشامل علىٰ الأعداء؛ لن يجري إلا علىٰ أيدي تلك الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وأن وجودها الذي لم ينقطع ولن ينقطع، قد يضعف في بعض الأحيان أو يتشتت في الأرجاء، ولكن بقاءها القدري الموصول يسهل دائماً عملية بعثها ولمّ شعثها، وتوحيد صفوفها، فإذا انضاف إلىٰ ذلك تعيين النصوص لمكان وجودها في وقت تسلط اليهود علىٰ الأرض المقدسة؛ بان لنا أن تجسيدها وتجديدها أمر ممكن.

فنحن نرىٰ أن كل خصائص الطائفة المنصورة تُكتسب ببذل أسبابها،

ويمكن الوصول إليها بالامتثال لها.

ولهذا نقول: إن تهيئة طائفة مسلمة في أي عصر من العصور، وفي أي مكان بين الأمكنة لأن تكون مستوفية لخصائص الطائفة المنصورة المذكورة في الأحاديث أمر ممكن، بل هو أمر مطلوب شرعاً؛ كيف لا..؟ وكل خصائص الطائفة المنصورة هي في الأصل واجبات شرعية أُمر بها المسلمون جميعاً، ولكن الله اختص بالتوفيق إليها الأخيار من عباده؛ من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والذين يسارعون في الخيرات ويدعون ربهم خوفاً وطمعاً، والذين يسابقون إلى جنة عرضها السماوات والأرض، والذين يقولون سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

وبما أن مضمار السباق في كل ما سبق مفتوح لكل المكلفين؛ فإن مجال الانتساب للطائفة المنصورة مفتوح كذلك لكل الصادقين، أليس باب الجنة واللحاق بأعلى درجاتها مفتوحاً لكل مسلم، بل لكل مكلف إذا بذل أسباب ذلك؟! فلماذا يكون سعي الفرد لأن يكون من أنصار الدين في زمان غربته مستغرباً؟!

إننا إذا طالبنا أنفسنا، وطالبنا إخواننا المجاهدين في فلسطين أن يكون ترتيب الخطط والبرامج والمناهج متوجهاً إلى هذا الاتجاه، اتجاه تهيئة الطائفة المنصورة؛ فلا نظن أننا ندعو إلى تكليف ما لا يطاق، كيف وهم في ساحة مقبلة على أحداث جسام تحتاج إلى انحياز المسلمين إليهم

من خارجها، ونفير المسلمين معهم من داخلها؟!

إنه لا تعارض البتة بين تصديق الأمر الخبري بالإيمان والوجدان، وبين تصديقه بأعمال الأبدان والأركان، فالإخبار بوجود الطائفة المنصورة في بيت المقدس قدراً في آخر الزمان؛ لا يتعارض مع السعي الشرعي لإعداد طلائعها من الآن، وقد كان سلف الأمة يتعاملون مع الأخبار القدرية بمواقف عملية شرعية تحوِّل الخبر الصادق إلى واقع معاش، فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حينما علموا أن الله ـ تعالى ـ سيفتح على المسلمين بلاد كسرى وقيصر؛ لم يكتفوا بتصديق الخبر والإيمان به، بل سارعوا إلى تحقيقه في الواقع حتى أصبح واقعاً، ولما جاءت أجيال بعدهم وهي تعرف من خبر رسول الله ﷺ أن الله سيفتح على أهل الإسلام القسطنطينية ورومية؛ لم يقولوا إن هذا من أخبار آخر الزمان، أو من الفتوح في زمن الدجال، بل شمروا عن السواعد، وشحذوا الهمم، وأعدوا الجيوش وأرسوا القواعد حتى فتحوا القسطنطينية بعد محاولات عديدة بدأت في أواخر أيام عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، ولكن لم تؤت ثمارها إلا في زمان محمد الفاتح، وقد بذل المسلمون محاولات كثيرة لفتح رومية أيام فتوح الأندلس، إلا أن الله ـ تعالى ـ لم يشأ ذلك بعد، ولكنه ـ سبحانه ـ اختار ـ أثناء تلك المحاولات من المجاهدين ـ أجيالاً من الشهداء لقوا ربهم وهم يقاتلون في

سبيل الله، وليس في سبيل مغانم روما.

والذي نريد قوله هنا: ما الذي يمنع سكان بيت المقدس وما حوله من أن يسعوا من الآن لتأسيس الوجود الحقيقي للطائفة المنصورة المقاتلة على الحق على أبواب بيت المقدس وما حوله؟! لا نرى في ذلك مانعاً، بل نراه واجباً، وهم بهذا لا يستعجلون قدراً غيبياً مؤجلاً، بل يقومون بواجب شرعي عاجل، فقتال جيوش شارون ونتنياهو وأمثالهما في الحاضر، لا يقل وجوباً عن قتال جيوش الدجال في الغد القابل أو الغابر.

وإذا كان قتال الدجال سيحتاج في وقته إلى طائفة منصورة تقاتله من وراء نهر الأردن، فإن قتال شارون اليوم ومن يأتي بعده يستدعي وجود طائفة منصورة في الأردن ولبنان ومصر وسوريا وغيرها؛ تسعى كلها لاستكمال خصائص تلك الطائفة في نفسها حتى تستجمع موجبات النصر، وليس هذا بعزيز على الله تعالى، فقد قيض لبيت المقدس قبل أكثر من تسعة قرون، طائفة منصورة هزمت الصليبيين، ثم طائفة أخرى هزمت التتار.

فهل كان واجباً على هؤلاء في الماضي ما لم يكن واجباً علينا في الحاضر؟! وهل واجب قتال اليهود سيكون فريضة فقط على الأجيال التي ستعاصر الدجال حتى تقاتله دفاعاً عن حرمات المسلمين في بيت

المقدس وغيره؟! هل هذه الواجبات ليست واجبة علينا اليوم دفاعاً عن حرمات المسلمين في بيت المقدس وغيره؟! نرجو التأمل في هذا الأمر، مع تذكر أن الواجب الشرعي ليس محصوراً في مجرد تكوين مجموعات استشهادية، بل في تأسيس فئة مؤمنة متجردة تستجمع ـ كما قلنا ـ خصائص الطائفة المنصورة وصفاتها، وتسعىٰ لأداء الوظائف الجهادية التجديدية لها؛ فيكون تجديدها الجهادي جديراً بتنزل نصر الله المؤزر.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٤٥].

خـاتمـة

إن كثيراً من الناس يحملون مبادئ، ويرفعون شعارات، ولكن انظر إلى واقعهم وحياتهم: ما مدى تطبيقهم لما يقولون؟ وما مقدار ما يعملون به من مبادئهم؟ وما قدر ما يلتزمون به من شعاراتهم؟

إن الانتساب إلى الطائفة المنصورة ليس شعاراً ولا هو دعوى، وإنما هو تحقيق وعمل؛ تحقيق للصفات الشرعية لهم، وعمل بالواجبات الشرعية عليهم، فمن حقق الصفات وقام بالواجبات كان من الطائفة المنصورة ولو كان وحده. قال ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [**الصف**: ٢ – ٤].

إن محبتنا لإخواننا في أرض الرباط ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس هي التي دفعتنا إلى كتابة هذه الرسالة لهم؛ تقديراً لتضحياتهم العظيمة، وجهودهم الجليلة. ونؤكد هنا أنَّ هذه النصيحة ليست للتقليل من صبر إخواننا ومصابرتهم في أرض الرباط، ولا للتشكيك في جهادهم. وليست مسوِّغاً للقاعدين والمشككين، لترك نصرة إخوانهم بالمال والدعاء، وكل أنواع النصرة المقدور عليها؛ بل هو دعوة لنصرتهم والتلاحم معهم.

إنَّ ثمة حقيقة يجب التذكير بها، وهي: أن وقوع بعض المخالفات ـ جهلاً ـ عند بعض إخواننا لا يرفع عن المقاومة صفة الجهاد الشرعي، ولا يسوِّغ للمسلمين أو بعضهم ترك نصرة إخوانهم في ساحة الجهاد، وخذلانهم، والتخلي عنهم وقت شدتهم؛ بل يوجب على إخوانهم نصحهم لا التخلي عنهم، والتعاون معهم على البر، لا التشكيك في نواياهم وجهادهم، ورفع شعار: ﴿**إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [**يوسف**: ٦٩]، وشعار: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)(١). آية كريم، وحديث نبوي ثابت؛ يجلّيان الموقف الشرعي لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من إخوانه.

كما نؤكد في خاتمة هذه الرسالة ما أكدناه في فاتحتها من أننا نتحدث معهم من منطلق المشاركة في المسؤولية، فنحن جميعاً على ثغر واحد، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على رعايته وحمايته، والمشروع الصهيوني في المنطقة لا يستهدف فلسطين فحسب؛ بل يستهدف المنطقة الإسلامية برمتها، والجهاد في فلسطين حائط صدّ منيع في وجه الهيمنة اليهودية، والاكتساح «الصهيو صليبي».

وإننا على يقين من قرب النصر، نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه، (١٢/ ٣٢٣)، رقم (٦٩٥٢).

يجعلنا من أهله، قال النبي ﷺ: «يقول الله ـ تعالى ـ: أنا عند ظن عبدي بي»(١).

ـ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

ـ يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

ـ اللهم أنت عضدنا، وأنت نصيرنا، بك نجول، وبك نصول، وبك نقاتل.

ـ اللهم إنا نجعلك في نحور أعدائنا ونعوذ بك من شرورهم.

ـ اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب: اهزم أحزاب الكفر والنفاق؛ اللهم اهزمهم وزلزلهم، وانصر المسلمين عليهم. آمين.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، (١٣/ ٣٨٤) رقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر، باب: الحث على ذكر الله تعالى، (٤/ ٢٠٦١) رقم (٢٦٧٥).

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
بين يدي الرسالة	٥
أولاً : الجهاد الذي نريد ، والنصر الذي ننشد :	١٤
١ ـ راية القتال في الإسلام	١٩
٢ ـ متىٰ يعد القتال جهاداً في سبيل الله؟	٢٢
٣ ـ شروط الجهاد الشرعي المقبول	٢٣
٤ ـ أهداف الجهاد الشرعي :	٢٦
أ ـ إعلاء كلمة الله وحفظ الدين	٢٧
ب ـ حفظ أنفس المسلمين ودمائهم وأعراضهم	٣٠
ج ـ كسر شوكة الكفار ثأراً لله	٣٠
د ـ حفظ كيان المؤمنين ، وحفظ سلطان الإسلام	٣١
هـ ـ رفع الظلم الواقع علىٰ المسلمين من الكفار أو المشركين أو المنافقين	٣١
و ـ تمكين الدعوة من المضي في طريقها	٣٢
ز ـ الشهادة في سبيل الله	٣٣
ح ـ قمع النفاق إذا استعلن وظهر	٣٤

الموضوع — الصفحة

ثانياً: الفئة المؤمنة المستحقة للنصر .. من هي؟ ٣٥
ثالثاً: الطائفة المنصورة.. من توالي، ومن تعادي؟ ٤٥
رابعاً: خصائص الطائفة المنصورة ٥٠
- الطائفة المنصورة: مستمسكة بالحق ٥٠
- الطائفة المنصورة: قائمة بأمر الله ٥١
- الطائفة المنصورة: تقاتل على الحق ٥٣
- الطائفة المنصورة: ظاهرة على أعداء الدين علمياً وعملياً ٥٤
- الطائفة المنصورة: مصابرة مرابطة ٥٦
- الطائفة المنصورة: دائمة الوجود ٥٩
- **خاتمة** ٦٥
- **فهرس المحتوى** ٦٩